

تطور الشعر العربي في المديح النبوي في الهند

The development of Arabic poetry in praise of the prophet in India

Mr. UMAR FAISAL M

Research Scholar,
P.G & Research Department of Arabic,
The New College (Autonomous)
Chennai - 600 014, India.
Email: umarfaisalbukhari@gmail.com

عمر فيصل

الباحث، قسم البحوث والدراسات العربية العليا،
الكلية الجديدة (حكم ذاتي)، شنائي،
ولاية تامل نادو، الهند.

Dr. N.M. AHAMED IBRAHIM,

Research Supervisor,
Associate Professor & Head,
P.G & Research Department of Arabic,
The New College (Autonomous) Chennai - 600 014, India.
Email: dr.nma.ibrahim@gmail.com

الدكتور ن. م. أحمد إبراهيم

الرئيس، الأستاذ المشارك بقسم البحوث والدراسات العربية العليا،
الكلية الجديدة (حكم ذاتي)، شنائي،
ولاية تامل نادو، الهند.

Abstract

This research paper aims to reveal the development of honorable prophetic praise in India. Many Indian poets have contributed in promoting the prophetic praise throughout the world, like the two venerable companions Hassan bin Thabit and Ka'b bin Zuhair, Imam Muhammad bin Saeed al-Busayri, and Imam Abu Bakr bin Muhammad al-Baghdadi, known as Ibn al-Rashid, (may God Almighty have mercy on them) .

Poets in India have achieved the highest level of sensitivity, tenderness of feeling, piety, humility, and politeness. These prominent poets presented their wonderful compositions. Many of their works resemble Arab works in style. The examples of prophetic praise contributed by the scholars of great Indian subcontinent remain alive till today.

The poets promoted creative concepts and ideas and came up with expressions that had never been done before. It is found in the books of history, biographies, and proselytizing poets of India who acquired the sweetness of Arabic language, and whose hearts overflowed with singing praises of the Messenger (PBUH). Their laudatory literary products are no less prestigious but prestigious than the words of Arab poets. This study aims to explore the Arabic poetry of Indian poets who praised the Prophet (s) throughout the ages of history.

Key words : Prophetic Praise, Arabic Poetry, Poets of India, Sufis.

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث عن كشف تطوّر المديح النبوي الشريف في الهند. لقد ساهم كثير من الشعراء الهنود مثلما ساهم شعراء العرب في المدائح النبوية مثل الصحابة الكرام، حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة وغيرهم ومن الشعراء المتأخرين مثل الإمام محمد بن سعيد البوصيري والإمام أبو بكر بن محمد البغدادي المعروف بابن الرشيد رحمهم الله تعالى وسعوا في ترويجها في كل أنحاء العالم. لقد تملك شعراء الهند أعلى مستوى من الحساسية وحنان الشعور والتقوى والتواضع والأدب. وقد قدّم هؤلاء الشعراء البارزون إلى مجال الأدب خاصة في المديح مؤلفات رائعة بديعة، تماثل مؤلفات العرب أسلوباً. وازداد عدد شعراء المدائح النبوية في شبه القارة الهندية العظيمة إلى عدد لا يحصى.

وقد ابتكر هؤلاء الشعراء العظماء معاني وأفكاراً وتوصلوا إلى تعبيرات لم يتم القيام بها من قبل. تبلور كتب التاريخ والتراجم أن الشعراء الهنود تعمقوا في شعر المديح دراسة وذوقاً وعلماً وأفاضوا قريحتهم بالتغني بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا تكن إنتاجاتهم الأدبية المدحية ناقصة عن مستوى شعراء العرب. تهدف هذه الدراسة إلى بيان الشعر العربي الذي قرض الشعراء الهنود في المديح النبوي عبر العصور.

الكلمات المفتاحية: المديح النبوي، الشعر العربي، شعراء الهند، المتصوّفون.

المقدمة:

لقد ساهمت الهند في الأدب العربي مساهمة يستحق الاهتمام والتقدير كما يقول السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي: "إن مؤلفات المسلمين في الهند في العلوم الإسلامية لا تحصى كثرة، وذلك موضوع كتاب كبير، ككتاب الفهرست لابن النديم، أو كشف الظنون للجلبي. وجولة في كتاب "الثقافة الإسلامية في الهند" تدل على مركز الهند العلمي وقسط علماءها ومؤلفيها في حركة التأليف والنشر.

اكتسب الشعر العربي شعبية كبيرة في الهند، حيث أنتجت شعراء رائعين قاموا بإثراء الشعر العربي بقصائدهم الرائعة. يرجع انتشار الشعر العربي في الهند إلى النظام التعليمي السائد في المدارس الدينية في عصور مختلفة، والتي أوضحت اهتمامًا كبيرًا للأدب العربي. الدكتور نبيل فولي يقول: لم يغب عن النظام التعليمي الذي استقر في الهند على صورة "درس نظامي" الشهير هذا الرباط المقدس بين الإسلام واللغة العربية، فأولوا علوم اللغة العربية وأدها اهتمامًا هامًا إلى جانب العلوم الشرعية الطاهرة، حتى صارت دراسة مقامات الحريري وديوان الشاعر أبي الطيب المتنبي وديوان الحماسة وديوان الصحابي حسان بن ثابت من ثوابت هذا المنهج.

المدح النبوي في الشعر العربي الهندي:

شعر المدح النبوي هو الشعر الذي نظم في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم بإحصاء صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق والمحبة لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة المرتبطة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته الحميدة شعرا، والمدح بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما وتبجيلا. والمدح النبوي في قول زكي مبارك: "فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهو لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"^١

١ الدكتور زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٣٥، ص ١٧

إن تاريخ الشعر العربي في الهند يرجع إلى القرن الأول من الهجرة النبوية حسب بيان الأديب الجاحظ الم توفي في عام ٢٥٥ هـ والشيخ هارون بن موسى الملتاني هو كان أولَ شاعر هندي تولى قرض الأبيات باللغة العربية التراثية. أما المدائح النبوية باللغة العربية في الهند، فيبتدئ تاريخها من القرن الثامن للهجرة النبوية الشريفة. فإذا تتبعنا الشعر العربي الهندي نجد أن المدائح النبوية تحتل حصة كبيرة من الأدب. ففي رأي الدكتور نبيل فولي "هذا اللون من القصائد المخصَّص لمَدح النبي صلى الله عليه وسلم شائع في آداب المنطقة بكل لغاتها، ويسمونه بالنعت، وقد أبدعت فيه قصائد ودواوين كثيرة جداً، حتى إن بعض شعراء شبه القارة قد لا يبدع شعراً إلا في هذا اللون وحده.

فإن معظم الشعراء الهنود كانوا من مجموعة من علماء المتدينين الإسلاميين والدعاة الصالحة ولم يكونوا من بين أولئك الذين كانوا محترفين في الأدب أو كرسوا أنفسهم للأدب والفن وحدهما. لهذا السبب، نجد أن أكثرهم يعتنون باعتناء كبير للمديح النبوي الشريف. وأحد العوامل التي دفعتهم إلى الثناء على النبي وحمده، كان إيمانهم الصادق والقوي بنبوته ورسالته. كان شعرهم مليئاً بروح دينية قوية وحماس إسلامي. من بينهم حيم العميق والمكثف لشخصية الرسول، لأنه رحمة للعالمين ونموذج يحتذى به للمسلمين حتى يوم القيامة كما قال الله عز وجل "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"١.

وقد وجد هؤلاء الشعراء في سيرته دليل خير يدلهم على طريق الحق والصواب ويرشدهم ويهديهم إلى سبيل الرشد والهدى. ومن الأسباب التي حدثهم إلى قرض المديح النبوي بعدهم عن مكان مولد النبي الكريم وشوقهم دائماً للقاءه يوم القيامة.

أهمية المدائح النبوية:

إن حاجة المسلمين في عصرنا الحديث لا تزال تزداد إلى الارتباط بالسيرة النبوية حتى لا يفقدوا هويتهم وانتسابهم إلى الدين السمح، ولن ينسوا تاريخهم الزاهر، وتنقلب لديهم المبادئ والمفاهيم، وتتغير القنوات

١ سورة الأنبياء: ١٠٧

والثوابت بسبب ما يتعرضون له من هجوم إعلامي وغزو فكري وحرب ثقافي لم يسبق لها في التاريخ البشري نظير ولا مثيل. إن في السيرة النبوية سرّاً عجيباً وتأثيراً غريباً، فهي الأرض الواقعية التي ينبت وينشأ فيها القرآن الكريم، والتطبيق العملي للسنّة الشريفة الهادية. وهي الفهم الصحيح للفقّه والصورة النقية للعقيدة. إنه كنز المديح النبوي الذي هو لسان الحبيب محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل جيل وعصر وأمة.

لم يخل زمن من الأزمنة ولا عصر من العصور، ولا شعب من شعوب المسلمين ولا أمة من أمم الإسلام من مُدّاحٍ كُتِبَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الشيخ يوسف النبهاني: "اعلم أن مداح النبي صلى الله عليه وسلم في كل عصر ومصر كثيرون لا يحصّهم عد، ولا يحيط بهم مد، ولو جمعت مدائح أهل عصر واحد منهم لبلغت عدة مجلدات."^١

أغراض المديح النبوي:

كان أغراض المداح في قرص الأشعار إظهار حبه الصادق والثابت والقوي لرسولهم المحبوب الشريف من خلال تدوين الشعر، تم التغلب عليهم بروح إيماني قوية ومشاعر دينية قوية، وظهروا سعداء مستبشرين بما أتى به النبي الصادق الأمين، تصبح قلوبهم فخورة وسعيدة تذوب بالحب والحنان عندما يقرؤون من أحاديثه النبيلة أنه سيكون شفيعاً لهم في يوم القيامة.

يقول الشيخ عبد الرحمن السيوهاروي في قصيدته:

"من يدفع الهم عن ذي الهم حينئذ

ويجمع الشمل حيث الشمل في بدد

أنت الشفيع لمن قد فاته أمل

عند العزيز الجليل الملك الأحد"^٢

١ يوسف النبهاني المجموعة النبهانية

٢ مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، الدكتور زبير أحمد الفاروقي، ص ١٠٤.

ربما تكون واحدة من أفضل القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم التي لفت انتباه العلماء الذين ينغمسون في العلوم والتدريس والكتابة، قصيدة الشيخ الإسلام شاه وال الله الدهلوي، الذي توفي في عام ١١٧٦ هـ والذي كان مشهوراً بكتبه عن العلوم الإسلامية والعقيدة، وهي كما يلي:

عُيُونُ الْأَفَاعِي أَوْ رُءُوسُ الْعَقَارِبِ	"كَأَنَّ نُجُومًا أَوْ مَضَّتْ فِي الْغِيَاهِبِ
فَأَصْبِقُ مِنْ تِسْعِينَ رَحْبُ السَّبَاسِبِ	إِذَا كَانَ قَلْبُ الْمَرْءِ فِي الْأَمْرِ حَائِرًا
مَصَائِبُ تَقْفُوا مِثْلَهَا فِي الْمَصَائِبِ	وَتَشْغَلُنِي عَنِّي وَعَنْ كُلِّ رَاحَتِي
تُحِيطُ بِنَفْسِي مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ	إِذَا مَا أَتَنِي أَزْمَةٌ مُدْلِهَمَةٌ
أَلُوذُ بِهِ مِنْ خَوْفِ سُوءِ الْعَوَاقِبِ	تَطَلَّبْتُ هَلْ مِنْ نَاصِرٍ أَوْ مُسَاعِدٍ
هُوَ الْوَاحِدُ الْمُعْطِي كَثِيرُ الْمَوَاهِبِ	فَلَسْتُ أَرَى إِلَّا الَّذِي فَلَقَ النَّوَى
وَمُنْتَجِعُ الْغُفْرَانَ مِنْ كُلِّ هَائِبٍ ^١	وَمُعْتَصِمُ الْمُكْرُوبِ فِي كُلِّ غَمْرَةٍ

لقد استخدموا فن الشعر لأنها لغة العواطف والضمير، ليثيروا مشاعر الناس، ويأسروا بها عقولهم ويسحروا قلوبهم، بالنظر إلى كلمات النبي صلى الله عليه وسلم "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً"^٢ لتحقيق أعظم وأكبر هدف في حياتهم، وهو دعوة الناس إلى دين الإسلام والرحمة، ونشر الرسالة النبيلة للدين الحقيقي، ونشر التعاليم المتسامحة. وعند القيام بذلك، أوضحوا للناس رسالة الرسول المحبوب، وأظهروا لهم طريق النضج الذي دعا إليه النبي النبيل صلى الله عليه وسلم، وشرح لهم الصعوبات والمصاعب التي واجهها النبي النبيل صلى الله عليه وسلم لجعل أمته سعيدة ونقل رسالة الله لهم.

١ الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين لأحمد إدريس

٢ أخرجه الترمذي في سننه (٢٨٤٥)

يذكر الشاه ولي الله المحدث الدهلوي في قصيدته المعروفة بالقصيدة البائية المعاملة الجيدة للنبي الكريم مع الناس والرجال الذين أضروا به وأزعجوه وجعلوا رفاقه ذوقاً من الظلم والاضطهاد والتعذيب، ويذكر الشاه ولي الله الدهلوي المشاكل التي تحملها النبي من أجل استدعاء الناس إلى الدين الحقيقي قائلاً:

"وأذاه قوم من سفاهة عقلمهم
ولم يذهبوا من دينه بمذاهب
فما زال يدعو ربّه لهداهم
وإن كان قد قاسى أشد المتاعب
وما زال يعفو قادراً عن سيئهم
كما كان منه عند جذبة جاذب
أتانا مقيم الدين من بعد فترة
وتحريف أديان وطول مشاغب"^١

كان شعراء المديح النبوي يهتمون بسلطات الجوانب الأخلاقية للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم. لذلك ذكروا الأخلاق النبيلة التي كان لدى النبي الكريم، وذكروا في كثير من الأحيان صفاته الجديرة بالحيوية والصفات الجيدة التي جعلته أعظم إنسان على وجه الأرض، كما تشهد الآية القرآنية: "وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"^٢ واهتم الشعراء الهنود بالجوانب الأخلاقية والسلوكية للحياة النبوية، وهموا بذلك دعوة المسلمين إلى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتقليد حياته.

يقول الشاعر عبد المقتدر الكندي الدهلوي عن أخلاقه الفاضلة:

"محمد خير خلق الله قاطبة
هو الذي جلّ عن مثل وعن مثل
له المزايا بلا نقص ولا شبه
له العطايا بلا منّ ولا بدل
المكارم أبهى من نجوم دجى
له العزائم أمضى قنا البطل"^٣

١ المدائح النبوية في الهند، صدر الحسن الندوي ص ١٨٨.

٢ سورة القلم، ٤

٣ المدائح النبوية في الهند، صدر الحسن الندوي، ص ١٥٩

وهناك ديوان للشاعر الهندي الشهير الشيخ باقر بن مرتضى المدراسي باسم "العشرة الكاملة" في المديح النبوي ويمدح النبي الكريم في إحدى قصائده، مشيرًا إلى صفاته النبيلة، ومعجزاته الخالدة، وفضائله النبيلة، ويقول:

"ليس من قابله قسوة
أمن من قاتله بالقنا
بشرّ من أنذره جاهلا
واصل من هاجره بالجفا
أوضح كالشمس براهينه
شيد كالمجد منار الهدى"^١

لقد اتخذ الشعراء النبويون من قبل الشعراء الهنود كوسيلة للدفاع عن النبي الكريم وحمایته والدعوة إلى الدين الحقيقي من خلال شرح فضائل الإسلام وتوضيح رسالة الأمن والسلام التي جلبها النبي الكريم. وكم نحن في حاجة اليوم إلى مثل هذه المحاولات العظيمة والصادقة لإزالة الاتهامات التي تم ربطها بديننا الحنيف واللطيف. فالشعراء الهنود، من خلال مدح النبي، ينورون الناس إلى جوانب مهمة من سيرة النبي ورسالته. ولقد فعلوا ذلك من خلال ومكافحة الاتهامات، والشكوك، والأساطير الموجهة إلى موقف النبي الكريم، ودعوته، ورسالته. وذكروا المعجزات والحقائق التاريخية الرئيسية التي حدثت من خلال يده السخية.

فيقول الشاعر الشاه ولي الله المحدث الدهلوي في إحدى قصائده:

ودرت له شاة لدى أم معبد
حليبا ولاستطاع حلبة حالب
وقد ساخ في أرض حصان سراقاة
وفيه حديث عن براء بن عازب^٢

ويذكر الشيخ حبيب الرحمن العثماني معجزات رسول الله الكريم في قصيدته المعروفة بـ«لامية المعجزات»، فيقول:

وانتدوا للمكر فارتأت له
ثلة من كل مقدم بطل
أعميت أبصارهم لما أتوا
غار ثور في شفاء ودغل^٣

١ المدائح النبوية في الهند، صدر الحسن الندوي، ص ٢١٢.

٢ المدائح النبوية في الهند، صدر الحسن الندوي، ص ١٩٠.

٣ مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، الدكتور زبير أحمد الفاروقي، ص ٩٨.

المشاهير من الشعراء في المديح النبوي في الهند:

وقد ازداد عددٌ كبيرٌ من الأدباء الهنود قاموا بقرض الشعر في المديح النبوي منذ الزمن القديم حتى عصرنا الحديث أمثال عبد المقتدر الكندي وأحمد بن محمد التهانيسري، والشاه ولي الله محدث الدهلوي والسيد غلام علي آزاد البلكرامي وعبد العزيز الدهلوي والشاه رفيع الدين الدهلوي والشيخ باقر بن مرتضى المدراسي وفضل الحق الخير آبادي والشيخ حبيب العثماني والنواب صديق حسين خان القنوجي والعلامة أنور الشاه الكشميري والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي وآخرين كثيرين.

شعراء المديح النبوي من ولاية تامل نادو:

إن المديح النبوي صلى الله عليه وسلم لا يزال يتنور من أبرز أغراض الشعر العربي في ولاية تامل نادو منذ ظهوره إلى يومنا هذا. "القصيدة الشفعية" للشيخ الشاعر صدقة الله أبا وهي أول قصيدة عربية أصلية معروفة لأهل تامل نادو.

ولم يقل مساهمات شعراء المدائح النبوية من ولاية تامل نادو مساهمات الشعراء العرب في المدائح في ترويجها في أنحاء العالم. ومن أبرزهم وأشهرهم الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا والشيخ تكية صاحب والأستاذ الشاعر الشيخ عبد الرافع الجمالي الباقوي.

قد قدم هؤلاء الشعراء البارزون مؤلفاتهم البديعة في اللغة العربية. والقصيدة المعروفة والمشهورة للشيخ صدقة الله أبا هي: "التخميس والتذييل على القصيدة الوترية" المعروفة بـ"القصيدة الشفعية". والقصيدة للأستاذ الشاعر عبد الرافع الجمالي الباقوي الذي نظم في مدح رسول الله الكريم كتابا معروفا باسم "نحفة الوردية في مدح سيد المرسلين". ونرى من القصيدة الوترية:

يضيء جميع الدهر غير محمد

جواهر نظمي في مديح محمد

جنان نعيم أجر مادح أحمد

فمادحه إن تلقه النار تخمد

١ التخميس والتذييل على القصيدة الوترية للشيخ صدقة الله أبا

الانحراف العقدي والفكري في المديح النبوي:

كان شعراء الثناء للنبي في الهند على دراية تامة بالسيرة النبيلة للنبي وفضائله، ومعظمهم لم ينحرف عن الحدود التي وضعها القرآن الكريم وحديث النبي باستثناء بعض من ذهب إلى أقصى الحدود، لقد أزالوا النبي الكريم من طبيعته الإنسانية ورفعوه إلى وضع الألوهية، مدفوعاً برغبتهم الساحقة في حب شديد له وميل قوي لإظهار حبه له، لقد أهملوا الأمر، وابتعدوا عن الحق والصواب، وذهبوا إلى أقصى الحدود في الدين والإيمان. ولم يأخذوا في الاعتبار في الشعر شرطاً أساسياً في مدحه، وهو القدرة على استخدام الأنماط المناسبة وفقاً لطابع الرسول، دون إفراط وتفريط.

ويقول الأستاذ أبو الحسن على الحسيني الندوي بهذا الصدد: "قد تورط عدد من أصحاب المدائح في بعض المزالق بتأثير بعض البيئات الموبوءة، أو ضعف الثقافة الدينية، أو بسبب الاتجاه إلى الغلو والمبالغة التي اعتبرت من سمات الشعر ومحاسنه في كثير من الآداب واللغات والعهود والأدوار، وقد أبدى العارفون لروح الدين والغياري على الإسلام في كل زمان ومكان استنكارهم لذلك واعتبروه شيئاً دخيلاً طارئاً على المديح النبوي"^١

وهنا أذكر بعض الأمثلة بهذا الصدد. يقول رفيع الدين الدهلوي:

يا أحمد المختار يا زين الورى
يا خاتما للرسل ما أعلاكا
يا كاشف الضراء من مستنجد
يا منجياً في الحشر من والاكا^٢

نعلم أن الله وحده يزيل الأذى من عبده، وهناك شعراء يدعون رسول الله للكشف عن الأذى والشر ومنهم الشاعر عبد العزيز الدهلوي فيقول:

إن جرتم عليّ فلي غياث
بباب المصطفى خير الأنام
فمدحك رقيتي وشفاء دائي
إذا ما خضت في لجج السقام

١ الراوند ٢-٨ جمادى الأولى، ١٤١٧هـ من مقال السيد أبي الحسن على الحسيني الندوي.

٢ المدائح النبوية في الهند، صدر الحسن الندوي، ص ٢٢٢

فمن لي بعد ما وهنت عظامي
 إذا ما اشتد البلاء سواك حامي
 وإن أكَ ظالمًا عظمت ذنوبي
 فحبّك سيّدي ماحي الآثام^١

وهناك بعض الشعراء الذين اعتادوا طلب المساعدة من النبي المحبوب للحماية من الكارثة والمصاعب مثل الشاعر باقر بن مرتضى المدراسي فيقول:

"يا ملجأ الكونين في الدارين يا
 خير الأنام وسيد السادات"^٢

السمات الأدبية والأنماط الشعرية في المديح النبوي الهندية:

في مدحهم للنبي، يروي الشعراء الهنود الشعراء الأوائل خلال عصر النبي والذين بعدهم. وقاموا بتقليد شعراء المعلقات السبع والشعراء قبل الإسلام في النمط الشعري والرسمي للقصائد والبنية الفنية. فنراهم يقفون في المنزل ويبكون على الآثار ويتذكرون ويعانون، وعند القيام بذلك، اتبعوا طريق الشعراء القدامى، وربما السبب في ذلك هو أن الأدباء الهنود الذين تلقوا الشعر بهذه الطريقة تأثروا بما درسهم وتعلموا في المدارس الإسلامية من شعر الشعراء قبل الإسلام وأوائل الشعراء في عصر الإسلام المبكر وبعد ذلك. ولقد استخدموا طريقتهم الخاصة في بناء القصيدة، ويميلون نحوهم والمتابعة على خطواتهم، ومن المعروف أن الشخص هو ابن بيئته. فإذا كانت البيئة التي نشأوا فيها ومائلة إلى قراءة الشعر القديم والاعتناء بها، فإنهم أيضا مائلين إليها ومتبعون تأثير شعبيها.

الموضوعات الهامة في المديح النبوي في الهند:

ومن بين الموضوعات التي تناولها مزيد من الشعراء من خلال مدائحهم النبوية "المدينة المنورة الشريفة" وقد قاموا بوصفها فأحسنوا وأجادوا فيها. فهذه المدينة الحاملة للنبي الكريم التي أخرجت الإنسان من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وهي التي تمثل أروع رواية وأعظم تأثير على تاريخ الإنسانية. أحب الشعراء الهنود الحجاز لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وأنهم رأوا فيها نورا منبعثا وفيها رسالة خالدة أبدية

١ المدائح النبوية في الهند، صدر الحسن الندوي، ص ٢٣٠

٢ المدائح النبوية في الهند، صدر الحسن الندوي، ص ٢١٣

وفيهما جماجم الأبطال العظماء. وكيف لا يميل قلب الشاعر المسلم الهندي شوقاً إلى البلد الذي وطئ أرضه حبيبه وتنفس هواءه الطيب وشرب من ماءه النقي. وقد حظيت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم لدى شعراء الهنود باهتمام بالغ وعناية فائقة.

الخاتمة:

هنا لاحظنا محاولات الشعراء الهنود لمعارضة القصائد العربية القديمة التي تحدثت في العهد القديم ويبدو الأمر كما لو كانوا يحاولون اللحاق بقصائد الغراء الشهيرة التي استعارها الشعراء الأوائل، لكنهم لم يكونوا ناجحين تمامًا في القيام بذلك كما ذكر الدكتور أحمد إدريس. علاوة على ذلك، نجد بكلمات شعراء الثناء النبوي العديد من الزخارف الرائعة والزينة اللفظية، مثل التورية، والجناس، وأنواع أخرى من الأشياء الرائعة. ويقول عبد الحي الحسني عن شعر فضل الحق خيرآبادي في كتابه "الثقافة الإسلامية في الهند": "كم له من قصائد وأشعار أتى فيها بكل لفظ لطيف ومعنى بديع لولا أنه أكثر فيها من التجنيس والاشتقاق"^١

لم ننس مساهمة الشعراء الآخرين الذين لهم باع طويل في هذا الميدان مثل الشيخ غلام علي آزاد البلكرامي الذي كان يلقب بحسان الهند، والشيخ عمر القاهري صاحب قصيدة "ألف الألف"، والشيخ صدقة الله القاهري، والإمام العروس، والشيخ أنور شاه الكشميري وغيرهم رحمهم الله، ومن الصعب علينا أن ندرج أسماءهم وأمثلة شعرهم في هذه المقالة القصيرة، وتعيين سيرتهم وقصائدهم في مدح النبي يتطلب أحجام ضخمة.

مهما كانت الحالة، فإن الشعراء الهنود لديهم مساهمات قيمة وغنية في المدح النبوي. هذا واضح مما ذكرته من حيث اهتمامهم بحب النبي، وللاحتفال برسالة الحقيقة التي حملها إلى البشرية جمعاء. واستلهموا من الموضوعات والمواد من المصادر الأصلية لسيرة النبي، ونظموها في شكل شعري غني وورصين. فكانت قصائدهم مليئة بروح الإيمان الرائعة، ومليئة بمشاعر حب قوية. وفي قصائدهم، اتبعوا أساليب الشعراء الأوائل وتوصلوا إلى نماذج وصور شعرية رائعة.

١ الثقافة الإسلامية في الهند، عبد الحي الحسني، ص ٤٨

وتضمنت قصائد بعضها أنماطاً فقيرة وضعيفة وواهنة، ومعاني ساذجة وبسيطة، لكن معظمها جاء مع أنواع البلاغة والكلمات الجيدة التي أظهرت حبهم وشوقهم لرؤية النبي ولقائه، والعواطف والحماس والشعور لدعوة الناس إلى الحقيقة الواضحة وتوضيح الرسالة الخالدة الأبدية التي حملها نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم، فهنا ندعو الله أن يثقل ميزان حسناتهم ويجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمته مع رسوله الحبيب عباده الصالحين.

المراجع والمصادر:

- القرآن الكريم
- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي
- المدائح النبوية في الأدب العربي لزكي مبارك
- مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، الدكتور زبير أحمد الفاروقي.
- المدائح النبوية في الهند، صدر الحسن الندوي
- المسلمون في الهند للشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي
- المجموعة النبهانية ليوسف النبهاني
- التخسيس والتذليل على القصيدة الوترية للشيخ صدقة الله أبا
- الثقافة الإسلامية في الهند لعبد الحي الحسيني
- الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين لأحمد إدريس
- نفحة الوردية في مدح سيد المرسلين للشيخ عبد الرافع الجمالي الباقوي